ويراهن الاسرائيليون على أن الضغط الاميركي سيخف الى حد ما ويغدو أقل الحاحا بعد رفع حظر البترول العربي في اذار، وعلى ان سورية ستبقى وحدها في الميدان ، لان تحرشات ايران المتكررة (في النصف الاول من آذار) ، والتي لا يستبعد ان تكون مخططة ومرسومة في واشنطن ستمنع الجيش العراقي من الانتقال من العمق الاستراتيجي الى العمق العملياتي للمشاركة في القتال ، كما فعل في حرب ١٩٧٣ . كما ان القوات المصرية البرية ستجد نفسها عاجزة عن المشاركة في القتال نظرا لوجود قوات الطوارىء الدولية أمامها . ومن المعروف ان قوات الطوارىء ستمارس مهمتها (وفق قرار انشائها) حتى ٢٤ نيسان الا اذا قرر مجلس الامن تمديد هذه المهمة . وهذا يعني ان كل تقدم بري مصري قبل ٢٤ نيسان سيصطدم بقوات الطوارىء التي صرح قائدها الجنرال انسيو سيلاسفو في ٧ آذار « ان قواته في صحراء سيناء، والمرابطة بين الجيشين المصري والاسرائيلي مستعدة للقتل للمحافظة على وقف اطلاق النار » (**النهار** ٣/٩) . وبالرغم من ان قوة الطوارىء المسلحة بالرشاشات والاسلحة الخفيفة ، والمحرومة من اية اسلحة ثقيلة لا تشكل قوة قتالية فعلية ، فان قوتها نابعة من وضعها الدولي ، ومن قوة الدول التي بعثت بها (ايرلندة ، بيرو ، السويد ، اندونيسيا ، السنغال ، فنلندة) ، ومن قوة مجلس الامن الذي حدد لها مهمتها ، والمضاعفات الخطيرة التي يمكن ان تنجم عن الاعتداء عليها . لذا فان القتال المصري الوحيد الممكن في حالة اندلاع الحرب على الجبهة السورية هو القصف بالصواريخ بعيدة المدى ، والقتال الجوي والقتال البحري .

وهناك عامل جديد لا يمكن لاسرائيل ان تنساه قبل الاندفاع في اية مغامرة جديدة ، وهو وجود صواريخ ارض — ارض « فروغ » في مصر وسورية ، ووجود صواريخ ارض — ارض بعيدة المدى « سكود » في مصر واحتمال وجود عدد منها في سورية ، وقدرة هذه الصواريخ على ابطال تأثير الردع الجوي الاسرائيلي بسلاح الطيران المتفوق . ويذكر المعلق الاسرائيلي زئيف شيف بأن « ادخال هذه الصواريخ [الى المنطقة] ادى الى اختلال التوازن الاستراتيجي بين الاطراف [المتنازعة] واحدى النتائج ، هي ان اسرائيل فقدت قدرة الردع التي حققها ، في الاساس ، سلاحها الجوي المتفوق ، وان الردع الاسرائيلي توازن مع الردع العربي المضاد » ... « ان قرار عدم استخدام هذا الاسلوب [الغارات الجوية في عمق الاراضي المصرية] لم يكن نابعا من رادع أخلاقي ، والبرهان على ذلك هو اننا استخدمنا هذا الاسلوب ضد الشريك الاصغر — سورية . وبكلمات اخرى ، ان الذراع الاستراتيجية الاسرائيلية [سلاح الجو] كانت مقيدة في عملياتها ضد العدو الاساسي [مصر] » (**هآرتس** ٤/ ٧/٧٤ — نشرة م. د. ف. ١/٣/٧٤) . وكتب مئير كوهن عن وسائل مقاومة صواريخ سكود وقال انه لا توجد وسيلة لاسقاط الصاروخ او التشويش عليه بعد انطلاقه من قاعدته . ولا توجد وسيلة للحصول على انذار مسبق عن اطلاقه (**هآرتس** ١٧/١/٧٤ — نشرة م. د. ف ١/٣/٧٤) .

لقد كان هذا في حرب تشرين الاول ١٩٧٣ . اما الان ، وقد امتلك الشريك الاصغر — على ما يبدو — عددا من صواريخ « سكود » بالاضافة الى صواريخ « فروغ » ، فان القيادة الاسرائيلية ستفكر مليا قبل استخدام سلاحها الجوي لضرب اهداف حيوية او مدنية في عمق الاراضي السورية ، خاصة وان تجربتها مع صواريخ « فروغ » كانت أليمة جدا . ولقد عبر وزير الاسكان زئيف شيف عن هذه التجربة عندما أعلن « ان ٧٦٠ منزلا في مجدال هاعيمك قد تضررت نتيجة لانفجار صواريخ « فروغ » التي اطلقت على المستوطنة في السادس من تشرين الاول » . (ر.ا.ا. عدد ٤٧٩ ، ١٩٧٤/٣/٧) .

ان « المفاوضات المسلحة » اسلوب متبع وممكن، ويستطيع السوريون تطبيقه بنجاح (على غرار ضربة ١٣ آذار التي دمرت كمينا اسرائيليا وعددا من المعدات والاسلحة ، والضربات المتعاقبة التي استمرت طوال النصف الثاني من شهر آذار وشملت قطاعات جبهة الجولان كلها) طالما ان قوات السوريين البرية متحصنة دفاعيا بشكل جيد ، وطالما ان شبكة صواريخهم الموجهة ارض — جو قادرة على حماية اجوائهم ، وطالما ان بطاريات صواريخ ارض — ارض قادرة على ابطال تأثير الردع الجوي المعادي ، وطالما ان عدوهم حساس للخسائر البشرية التي تتراكم يوما بعد يوم ، لتشكل في النهاية رقما كبيرا لا قبل له به .

المقدم الهيثم الايوبي